مجلة أبحاث
ISSN: 0834-2170
EISSN2661-734X
المجلد 8 / العـدد: 1 (2023)، ص 01– 08

مناهج الدراسة السردية في الممارسة النقدية لدى عبد الملك مرتاض

–السيميائية السردية أنموذجا–

Narrative study curricula in the critical practice of Abd al-Malik Murtad
- Narrative semiotics as a model-

مفيدة شايب*، جامعة الإخوة منتوري– قسنطينة 1 Moufidachaib88@gmail.com

تاريخ الاستلام: 02 /2021/10 تاريخ القبول: 05 /03/ 2023 تاريخ النشر: 10 /2023/06

ملخص:

يعتبر الناقد عبد الملك مرتاض من أبرز النقاد العرب حرصا و أشدهم على مواكبة ما يروج في الساحة النقدية من مناهج معاصرة ، و محاولة تطبيقها على نصوص سردية عربية .

و من بين المناهج النقدية التي حفلت بها مدونة مرتاض السردية ، نذكر السيميائيات السردية ، ولهذا جاء هذا المقال لدراسة المنهج السيميائي في عدد من أعمال الناقد السردية :(ألف ليلة و ليلة ، تحليل الخطاب السردي ، جمالية الحيز في مقامات السيوطي) .

الكلمات المفتاحية: المنهج، المنهج السيميائي، النص السردي، السيميائية السردية.

Abstract:

abdelmalek murtad is considered as one of the biggest arab criticizers whom are the most careful on what promotes in the criticize arena from the contemporary approaches and trying to translate it to narrative texts and as exemple of one of those approaches which was delighting murtad 's blog is the semantic narators , and that s why he wrote an article for studying the semantic approach in many achieved articles (one thousand and one night), (narrative discourse), (the aesthetic of good in the mausoleums of Soyouti)

Keywords: the approach; the semantic approach; the narrative text; the narrative semantic.

* **مفيدة شايب**

. مقدمة:

تدخل السيميائيات ضمن المناهج النصانية الحداثية التي تعطي الأهمية للنص وحده، لا لمن قاله، و الحديث عنها يقودنا إلى استحضار مسيرة ذلك المنهج الذي انطلق كفكرة أو تصور، ثم استقام عوده كعلم قائم بذاته .

2. مدخل إلى السيمياء:

1.2 مفهوم المنهج السيميائي:

تدخل السيميائيات ضمن المناهج النصانية الحداثية التي تعطي الأهمية للنص وحده، لا لمن قاله ، و الحديث عنها يقودنا إلى استحضار مسيرة ذلك المنهج الذي انطلق كفكرة أو تصور ، ثم استقام عوده كعلم قائم بذاته .

و بالعودة إلى الأصل اللغوي لمفهوم السيميائية يحدد لنا عبد الملك مرتاض تعريفا لها بقوله :"إن مفهوم السيميائية آت كما هو معلوم من تركيب (س،و،م) الذي يعني (العلامة)، التي يعلم بها شيء ما كالثوب، أو إنسان ما كالوشم، أو حيوان ما كمياسم القبائل العربية التي كانت تسم بها إبلها(...) ومن هذه المادة جاء لفظ (السيما) بالقصر، و(السيماء) بالمد، و(السيمياء) بإضافة باء قبل الألف، وبعد الميم، ومن اللفظ الأخير أخذ منظرو السيميائيات العرب المعاصرون مصطلحهم المعروف تحت عبارة السيميائية (بإضافة باء النزعة أو المذهبية، أو الباء الصناعية باصطلاح النحاة العرب) وإذن، فمن الناحية اللغوية الخالصة يمكن أن نقول (السيموية)، كما يمكن أن نقول (السيمائية) "(مرتاض، 2007م، ص157).

بعد تبيان الأصل اللغوي لكلمة سيميائية أو سيمائية (وفق المنظور المرتاضي)، و التي تركن عند مفهوم العلامة أو الإشارة ،نتطرق في هذه المرحلة إلى تتبع مسار ظهور هذا المنهج، حيث وردت أول إشارة بينة لظهور السيميائية على يد العالم السويسري دي سوسير الذي تنبأ بولادة علم مستقل هو علم السيميولوجيا، وذلك في عمله الموسوم ب " محاضرات في اللسانيات العامة الصادر عام 1916 "، يقول:" اللغة نظام من العلامات التي تعبر عن أفكار، ومن هذه الناحية فهي مماثلة للكتابة، وأبجدية الصم والبكم، والطقوس الرمزية، وصيغ الاحترام، والإشارات العسكرية، ورغم هذه المماثلة تبقى اللغة أهم الأنظمة، ولذلك يمكن أن تؤسس علما يدرس حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية، فيشكل هذا العلم جزءا من النفس الاجتماعي، وسنطلق عليه (علم العلامات) أو (السيميولوجيا) (Semieon علامة باليونانية)، وسوف يكون علم اللغة (L'inguistique) قسما من السيميولوجيا." (أريفيه، 2008م،ص33) كان إذن الباحث دي سوسير هو أول من بشر بميلاد علم جديد يهتم بدراسة العلامات و الذي ربطه بالحياة الاجتماعية ، حيث يعتبر اللغة بنية و نظام يدرسها بعموم العلامات.

وقد شاعت عدة استعمالات لمصطلح السيميائية ،حيث نحصي "السيمائية، أو السيميولوجيا، أو السيميوطيقا، أو علم الإشارة، أو علم العلامات، أو علم الأدلة...إلخ، وكلها ترجمات وتعريبات تطول لعلم واحد بمصطلحين شائعين هما (Semiology)من(Semion) اليونانية حسب العالم اللغوي السويسري فرديناند دي سوسير (F.de saussure) (1856-1913)، أو (Semiotics)حسب العالم والفيلسوف الأمريكي شارل ساندرس بيرس (Ch.S.Perice) (1838-1914) والمصطلح الأول شاع عند الأوروبيين، وعند سيميائيي مدرسة باريس تقديرا لصياغة سوسير، وأما المصطلح الثاني (Semiotics)فيفضله الناطقون بالإنجليزية، كما يشيع في أوروبا الشرقية، وإيطاليا، والولايات المتحدة الأمريكية، تقديرا للعالم الأمريكي بيرس" (قطوس، 2006م، ص187)

"كما يجمع عدد من الدارسين أن تاريخ السيميولوجيا كعلم يبدأ مع شارل ساندرس بيرس (Ch.S.Perice) (1839- 1914) الذي أخذ يدرس الرموز ودلالاتها، وعلاقاتها في جميع الأشياء بعمق، واستبطانها عند دراسة الإشارات، واستقراء منطقها، وسبر حقيقة النظام، والدلالة التي تنطوي عليها." (درابسة، 2010م، ص70)

انطلاقا من المعطيات السابقة نقر بأن المنهج السيميائي يعنى بدراسة العلامات اللغوية و غير اللغوية ، فموضوع السيميائية هو العلامات و أنساقها انطلاقا من العلاقة الموجودة بين الدال والمدلول "فالعلامة اللغوية عند دي سوسير تتكون من دال هو صورتها السمعية، ومدلول هو التصور الذهني لهذه الصورة السمعية، وتنقسم العلامة حسب بيرس كذلك إلى ثلاثة أنواع هي:
(الإشارة)، و(الأيقونة) و(الرمز)، فالإشارة تمثل لها بالسهم الذي نبصره، ويشير إلى شيء معين، مثل حركة الإصبع التي تشير إلى شيء أمامها، والأيقونة هي الصورة الدالة على متصور مثل صورة السيارة في إشارات المرور، والرمز نموذجه الأول الكلمة، مثل الحمامة التي ترمز للسلام."(فزاري، 2011م، ص31)

فالعلامة عند دي سوسير تتكون من وجهين يشبهان وجهي العملة النقدية ، و يرتبطان ببعضهما ارتباطا وثيقا و هما الدال و المدلول ، الأول يمثل الصورة السمعية ، و الثاني هو التمثيل الذهني للأشياء ، وأن العلاقة أو الرابط بين هذا الدال و ما يقابله من مدلول علاقة اعتباطية ، أما العلامة عند بيرس فتتوقف عند ثلاثة هي : الإشارة ، الرمز ، الأيقونة كما تم التوضيح سالفا.

"وتتطلع السيميائية اليوم إلى تبني نفسها بما هي علم للمعاني، إنها منهجية العلوم التي تعالج الأنساق الدالة، أي العلوم الإنسانية، حيث إنها تعد الممارسات الاجتماعية / التاريخية التي تشكل موضوع هذه العلوم (الأسطورة، الدين، الأدب...الخ) على أنها أنساق للسمات" (مرتاض، 2007م، ص159)

أخيرا "أصبح المصطلح السيميائي- في زماننا – الأكثر تداولا لدى النقاد المعاصرين، وأصبحت الأفواه تتهافت عليه، وتتهدل الأعضاء في التعامل معه في النصوص، وفي التعامل مع الإجراءات بشكل خاص، فيشتغل به المبتدئ من النقاد، ليؤلف بشأنه ألفاظا، ومعاني جديدة من عنده، وبحسب الضرورة، فيبدع ويبتكر." (بوخاتم، 2005م، ص159)

2.2 السيميائيات السردية :

وفيما يتعلق بالسيميائيات السردية فيكمن القول:

لقد صار التحليل السيميائي تصورا نظريا ، و منهجا تطبيقيا في شتى المعارف والدراسات منها بالخصوص الدراسات السردية ، حيث اقتحمت السيميائية عالم السرد من باب فسيح فقد "حظيت الأشكال السردية بكثير من العناية من طرف السيميائية، حيث كانت مجالها الخصب لتجريب أدواتها،ربما يعود السبب في ذلك إلى امتداد جذور الخطاب السردي في تربة خصبة تشتمل على كثير من الأنواع بدءا من الأسطورة وانتهاء بالمطبخ، ومرورا بكل الأشكال التعبيرية ذات البعد التصويري "(غنيسة، 2011م، ص9)

"فالسيميائية كغيرها من المناهج النقدية النصانية قامت باقتحام عالم السرد، والإبداع القصصي مستخلصة رموزه وعلاماته، سابرةغوره ، مستخرجة مختلف التأويلات الممكنة، لكنها مرت قبل ذلك بتاريخ طويل، استطاعت بفضله نفض التراب عن أهم نفائسه، إلى أن استوت مناهجها، وأدوات تحليلها، وغزت مجال السرد حتى يومنا هذا" (الأحمر، 2010م، ص207)

وإن جذور سيميائية السرد ترجع إلى مدرسة الشكلانيين الروس، وخاصة فلاديمير بروب وكتابه مورفولوجيا الخرافة الذي صدر عام 1928، بتحديده لقواعد السرد ، و جعل الوظائف هي المكون أو العنصر الأساسي في تشكيلالخرافة، و التي حددها ب 31 وظيفة ، ويقصد بروب بالوظيفة "الحدث الذي تقوم به شخصية ما من حيث دلالته في التطور العام للحكاية وقد لاحظ بروب أن هذه العناصر مرتبطة فيما بينها بضرورات منطقية وجمالية.

هكذا كان (مورفولوجيا الخرافة) النواة الأولى للسيميائيات السردية، والموطئ لولادتها على حد تعبير "جان إيف تاديه". أما الولادة الحقيقية لسيميائية السرد، فقد جاءت عام 1966 على يد ألجيرداس خوليان غريماس في كتابه الشهير الدلالة البنيوية وأعقبتها كتب أخرى من بينها: (في المعنى) و(السيميائيات) "(الفرطوسي، 2007م، ص4)

وبهذا أحدثت دراسة بروب ثورة كبيرة في الدراسات السردية بعد توظيفه لخاصية النموذج الوظائفي ، حيث شكلت الوظائف البروبية دورا هاما ، أو الأساس الأول الذي اقتدى به غريماس فيما بعد في توظيف برنامجه السردي .

هكذا إذن "يعد ألجيرداس جوليان غريماس" (1917–1992) مؤسس السيميائيات السردية الأشهر وزعيم (مدرسة باريس) من دون منازع، فهذا اللغوي والسيميائي الليتواني الأصل ، الفرنسي

الجنسية، يعدبحق من أكبر الباحثين الأوروبيين اللذين اتخذوا من اللسانيات السويسرية في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي الأنموذج العلمي الرائد في مجال العلوم الاجتماعية، والإنسانية ووصلوا به فعلا إلى تأسيس نظرية سيميائية شاملة في مجال تحليل الخطاب السردي سرعان ما صارت بدورها أنموذجا علميا بديلا في السبعينيات، والثمانينيات، ومازالت تعتبر هذه النظرية المتكاملة – إلى اليوم — من أخصب النظريات الاستدلالية في ميدان علوم اللغة وأكثرها وضوحا على مستوى البناء المعرفي، والمناهجي ودقة المفاهيم الإجرائية، وضبط المصطلحات النظرية والتقنية" (التجديتي،2005، ص51)

"كما تهتم السيميائية بالسرد في أي صيغة كان أدبي، أو غير أدبي، متخيل أو غير متخيل، منطوق أو مرئي، لكنها تسعى إلى التركيز على الوحدات السردية الصغرى، ونحو الحبكة (يتحدث بعض المنظرين عن ضروب نحو القصة)، وهم بذلك يتبعون تقليدا أقامه الشكلاني الروسي فلاديمير بروب (Vladimir propp) وعالم الأنثروبولوجيا الفرنسي كلود ليفي ستراوس" (تشاندلز، 2008م، ص199)

أخيرا جاءت السيميائية السردية للتعرف على الوحدات المشكلة للنص باعتباره نسقا وبنية ، وهي قائمة على بنيتين "بنية سطحية ممثلة في المكون الصرفي، والمكون التركيبي، وبنية عميقة ممثلة في المكونين السردي والخطابي ، ولدراسة المحكي سيميائيا نقوم باستخراج البنيتين من هذا المحكي حسب المفاهيم النظرية التي وضحها غريماس وتلاميذه" (فزاري، 2011م، ص70)

ختاما نقول إن النموذج الوظائفي و أبحاث فلاديمير بروب الرائدة في الحكي الشعبي الروسي ، بالإضافة إلى دراسات ألجيرداس جريماس دفعا السرديات السيميائية إلى التقدم بخطوات حثيثة في بناء ركائز وأساسيات بنائها النظري و التطبيقي .

3. تطبيق المنهج السيمائي في أعمال عبد الملك مرتاض السردية:

1.3 ألف ليلة وليلة (تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد) :

يقول عبد الملك مرتاض : "فلتكن هذه المحاولة ممنهجة لدراسة التراث العربي السردي، ولتكن قبل كل شيء، مدرجة لإثارة السؤال، ومسلكة لاستضرام الجدال، ولتكن أيضا دعوة إلى التجديد، ولكن بعيدا عن فخ التقليد الذي أبتلتنا به هذه النظريات التي نقرؤها في لغاتها الأصلية طورا، ونقرؤها مترجمة طورا آخر، فإذا عدواها تسري فينا كالسموم التي تتسرب في أجسامنا من فعل اللدغ، أو أثر العدوى المرضية، فتصيبها بالبلاء، وتؤذيها بالأوجاع والأوصاب"(مرتاض، ألف ليلة وليلة(تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد)، 1993م، ص11)

وهذه الدراسة التي بين أيدينا تؤكد مقولته هذه، حيث تناول فيها بالتحليل حكاية من حكايات ألف ليلة وليلة، تناول فيها حكاية حمال بغداد ابتداء من الليلة التاسعة إلى الليلة التاسعة عشر، وقد عالجها من سبع مستويات: ابتداء من الحدث، عالم الشخصية، تقنيات السرد، الحيز، الزمن، خصائص البناء في لغة السرد، وأخيرا المعجم الفني للغة السرد.

وعند الوقوف أمام الحدث نجد الناقد يعدده، فهناك الحدث المحظور، ويضرب لذلك عدة أمثلة منها : حب ابن الملك لأخته، ثم زواجه بها، فارتكابهما لهذا المحظور، وإصرارهما على سلوكهما، فجر مأساة في النهاية وهي احتراق العشيقين، أو اختناقهما (مرتاض، ألف ليلة وليلة(تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد)، 1993م، ص25)، والحدث المسحور كذلك، وتمثل مثلا في تحويل الجن (جرجريس) الحطاب إلى قرد عجوز، بالإضافة إلى الحدث المكذوب وغيرها.

لينتقل إلى الشخصية، وقد قسمها إلى شخصيات مركزية، وثانوية، وأخرى بدون شأن، كما نجد الشخصيات الأفللية ثلاثة أصناف: تاريخية (هارون الرشيد، الأمين والمأمون، المتوكل)، ومتخيلة(قمر الزمان، وبدور، وأنس الوجود)، وخرافية (ذكر الهواتف، والعفاريت، والأفراس الطائرة) (مرتاض، ألف ليلة وليلة(تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد)، 1993م، ص62).

ولفظ (الإشارة)، وما صادفه عند تحليله لحكاية (حمال بغداد)، مثلا ما دار من حوار غير معلن بين العشيقين الحطاب وصبية العفريت (جرجريس): "فأشرت لها بحاجبي – فنهضت ، وغمزتني- فأشرت لها أن هذا وقت العفو-، فقالت لي بحاجبها..." (مرتاض، ألف ليلة وليلة(تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد)، 1993م، ص108).

كما يستخلص عند تحليله لهذا النص تقنية الوصف، ويقترح مصطلح (الوصف بالعلاقة) ، ومثاله: "منصوب عليه ناموسية من الأطلس الأحمر"، ومثاله: "سرير من المرمر، مرصع بالذهب، والجوهر" (مرتاض، ألف ليلة وليلة(تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد)، 1993م، ص196).

هذا، ويستعمل مرتاض التضاد، أو التباين باللغة السيميائية عند تحليله، وجعله تضاد الجنسين، أو تقابل الذكورة والأنوثة، مثلا في: الصبية والحمال، البوابة والتجار الثلاث، الحطاب والصبية المختطفة،والتباين الشيئي في: (في أكل وشرب)، و(أوقد الشموع)" (مرتاض، ألف ليلة وليلة(تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد)، 1993م، ص219). والتباين الطبقي مثلا: (وكنت عزيزا، فصرت ذليلا) و (كيف صرت في الذل بعد العز).

2.3 تحليل الخطاب السردي: معالجة تفكيكية سيمائية مركبة لرواية(زقاق المدق لـ نجيب محفوظ) :

من خلال العنوان الظاهر أمامنا نلاحظ الناقد يزاوج في دراسته هذه بين منهجين أحدهما تفكيكي، والآخر سيميائي :

"أي منهج إذن هذا القادر على ما نشأ منه، أو نشأ له؟ أم يجب أن تتضافر هذه المناهج كلها، مضافا إليها السيميولوجية، والتفكيكية من أجل محاولة فك الألغاز،وحل المعقدات ، والاهتداء إلى المعميات..." (مرتاض، تحليل الخطاب السردي-معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق-، 1996م، ص3)

وربما ا التزاوج راجع إذن إلى أن (السيميائية)-كما يلاحظ أيضا- تركيبية الطبيعة، حيث إنما تتركب من مفاهيم بيولوجية، ومفاهيم فيزيائية، ومفاهيم الذكاء الاصطناعي، فلقد انبثقت السيميائية إذن عن ميراث مركب من اللسانيات البنيوية، ودراسة الفولكلور، والميثولوجيا" (مرتاض، تحليل الخطاب السردي-معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق-، 1996م، ص8)

وقبل تحليل ناقدنا لهذا النص، نجد أنه قد قرأه خمس قراءات من حيث البنية (القهرية، الطبقية، الشهوانية...) ومن حيث سيميولوجيا (الألوان، الروائح، والأصوات...) بالإضافة إلى الشخصية وبنائها، وقراءة حول الزمكان، وأخيرا قراءة حول الحدث، وتقنيات السرد.

إن مرتاض عالج سيميائية الشخصيات في (زقاق المدق) من جهة الأسماء، حيث نلمس مثلا تغيير فرج ابراهيم لاسم حميدة، بعد اختطافه لها باسم (تيتي) (مرتاض، تحليل الخطاب السردي-معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق-، 1996م، ص128)، وفي هذا تغيير لماضيها، ودلالة على حاضر جديد لها، بالإضافة إلى تسمية (المعلم كرشة) ، فكأن هذه الشخصية لضخامة بطنها من وجهة، وللتهالك في تحصيل المال من وجهة ثانية، والإنفاق على ملذات البطن المحرمة كالحشيش من وجهة أخراة، ارتبطت تسميتها بالكرش الحيوانية (مرتاض، تحليل الخطاب السردي-معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق-، 1996م، ص130)، بالإضافة إلى تسميات (زيطة)، (وجعدة)، و(سنقر) التي وردت بدون تثنية، ولا تثليت، فكان ذلك دليلا على أن النص أراد أن يوهمنا بأنها مقطوعة النسب. (مرتاض، تحليل الخطاب السردي-معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق-، 1996م، ص132)

كما نجده درس الشخصيات من خلال سنها، أو عمرها، فكانت تتباين بين سن الخمسين سنة،وشخصيات ذات العشرين سنة، والشخصيات المسكوت عن سنها أصلا.

وبالوقوف عند الشخصية أيضا نجده يقسمها بناء على الأهمية الوظائفية إلى شخصيات رئيسية، ثانوية، عابرة، بالإضافة إلى قيامه بإحصاء لهذه الشخصيات بناء على تواترها في النص، ليختم الحديث عن الشخصية، بوصف خارجي، وآخر داخلي حدده لسبعة شخصيات فحسب (حميدة، عباس الحلو، فرج إبراهيم، المعلم كرشة، أم حميدة، سليم علوان).وعند دراسته لتقنيات السرد في (زقاق المدق) نجده يشير إلى (سيميائية الإشارة)بقوله : "فقد كان منتظرا أن يكون لسيميائية الإشارة في هذا النص مكان مكين"، ومثال ذلك خصوصا ما يتصل بعلاقة "فرج إبراهيم" مع "حميدة" التي قامت على تسخير النظرة الدالة، واصطناع الغمزة المعبرة كيوم رأته، ورآها لأول مرة" (مرتاض، تحليل الخطاب السردي–معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق–، 1996م، ص219)

كما نتوقف عند المكان في هذا التحليل، ونظرا لأن حيز النص المدروس، ووصف مساحته عبر صفحات الكتاب فيه من السيميائيات المطلوب الكشف عنها دراسة حداثية نجده يقدم توصيفا لمساحته حيث إن "الطبعة التي عولنا عليها في هذه الدراسة التحليلية هي من نشر دار القلم بيروت حيث بلغ عدد صفحاتها أربعين ومائتين بمقياس: 17X24" (مرتاض، تحليل الخطاب السردي–معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق–، 1996م، 245). هذا ،وعند ذكره المكان في هذا النص، وذكره خاصة للقذارة، والرطوبة والظلام، ففي ذلك إشارة سيميائية، تعني أن سيميائية القذراة في هذا النص أريد لها أن تنهض بدور الدلالة على الفقر، والتخلف، والانحطاط" (مرتاض، تحليل الخطاب السردي–معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق–، 1996م، 257)

وفي الفصل الرابع والأخير، والذي حدده لدراسة (خصائص الخطاب السردي) في (زقاق المدق) نجده يدرس خصائص أسلوبية من وصف، وتكرار، وتشبيه، لينتقل بعدها إلى دراسة خصائص سيميائية، مثل دراسة عنوان النص (زقاق المدق) حيث نلاحظ أن هذا العنوان المتكون من لفظين اثنين فقط مرتبط ارتباطا عضويا بالنص الذي يعنونه، فيكمله ولا يختلف معه، ويعكسه بأمانة ودقة (مرتاض، تحليل الخطاب السردي–معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق–، 1996م، ص277)

كما درس سيميائية نصية تمثلت في (التناص المباشر)، حيث كشفت البحوث السيميائية عن أن هذا التناص للنص الإبداعي كالأكسجين الذي لا يشم ولا يروى، ومع ذلك لا أحد من العقلاء ينكر بأن كل الأمكنة تحتويه، وأن انعدامه في أيها يعني الاختناق المحتوم (مرتاض، تحليل الخطاب السردي–معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق–، 1996م، ص278)

نختم الحديث عن هذا العمل بالحديث عن مجموعة سيميائيات تعددت بين الروائح من حيث أنها أيقونة شمية، والعيون من حيث أنها أيقونة بصرية، والوجه، وملامحه، والصوت أو الصورة الأيقونية السمعية.

3.3 جمالية الحيز في مقامات السيوطي:

وقد عالجها من أربعة مستويات معالجة تحليلية:

المستوى الأول: ينصرف إلى سيميائية التشاكل في المقامة الياقوتية .

المستوى الثاني: يتعلق بسيميائية الألوان في هذه المقامة.

المستوى الثالث: ويتمحض لجمالية الحيز في المقامة الياقوتية.

المستوى الرابع: و الأخير ينصب على جمالية الإيقاع في الياقوتية .

وقد كانت هذه المعالجة لتوصيف النص وحده، وتحليله على شيء من المقاربة السيميائية. (مرتاض، جمالية الحيز في مقامات السيوطي– دراسة–، 1996م، ص7)

وأول ما اجتهد فيه الناقد مرتاض في تحليل أطراف من نص المقامة الياقوتية للسيوطي من الوجهة التشاكلية، حيث نجده درس كلا من التشاكل، والتباين، وعدد أنواعا للتشاكل فوجد التشاكل النحوي، والتشاكل الانتشاري، وتشاكل يقرأ على مستوى للمعنى، وتشاكل نسجي ثنائي، وثلاثي الأطراف.

وقد حلل مجموعة من العلاقات الاحتمالية الرابطة بين الأزواج السيميائية، وضرب مثالا عن ذلك في هذه المقامة بـ (مرتاض، جمالية الحيز في مقامات السيوطي-دراسة-، 1996م، ص54)

"للمفاخرة ⟵ لا للمفاجرة للمفاجرة ⟵ للمكابرة.

للمكاثرة ⟵ لا للمكابرة للمفاخرة ⟵ للمكاثرة.

معنى ذلك أن من نجد له مكاثرة أي كثرة في الولد والمال، ونحو ذلك، سيعمد للمفاخرة لا محالة، وكذلك الحال بالنسبة للمفاجرة، وللمكابرة، إذ من يكابر الحق ويتعالى عليه لا يكون إلا فاجرا، فكأن المفاجرة هي المكابرة" (مرتاض، جمالية الحيز في مقامات السيوطي-دراسة-، 1996م، ص49)

كما نلاحظه يضرب لنا مثلا بالتشاكل في اللونية بين (حمراء، وخضراء، وبيضاء) فهو تشاكل معنوي من حيث مراعاة أصل الصفة في ذاتها، ولذاتها وهي اللونية (مرتاض، جمالية الحيز في مقامات السيوطي-دراسة-، 1996م، ص65)

أما ما يتعلق بسيميائية الألوان، فنجده قسم الألوان إلى ألوان صريحة، وأخرى مؤولة، أما الألوان الصريحة الغالبة في هذا النص فهي الأحمر، والأخضر والأبيض.

وللتركيز على الجوانب السيميائية نجده يذهب إلى تأويل الألوان، ومثاله: "اجتمع سبعة من اليواقيت لبضعة من المواقيت حيث نجد أن معظم (اليواقيت) الذي نتمثل فيه ألوانا متجسدة على نحو محتوم، إذ لا يخلو الياقوت من أحد ألوان ثلاثة، فإما أن يكون أحمر، وإما أن يكون أزرق، وإما أن يكون أصفر (مرتاض، جمالية الحيز في مقامات السيوطي-دراسة-، 1996م، ص98)

ومثاله كذلك الخاتم، الذي بعد دراسته، وتأويل ألوانه، استخلص أن الخاتم مصنوع من مادة ذهبية، تتسم بالصفرة التي يجسدها لون الذهب في أشهر ألوانه وأجملها (مرتاض، جمالية الحيز في مقامات السيوطي-دراسة-، 1996م، ص100)

وقد درس الحيز في هذه المقامة من ثلاثة أضرب: الحيز الثابت مثاله: " اجتمع سبعة من اليواقيت (...)" فقعدوا لكل منهم حلقة، و"جعل معدني في البحور، ومسكني في قلائد النحور"

حيث يتجسد الحيز بكل ما يحمل من هذه البدائع الجمالية الطافحة في ثلاثة معانم على الأقل: البحر- ومسكني - والنحور - واجتمع- والحلقة — ويتسم فيها معا بالسكون، والثبات (مرتاض، جمالية الحيز في مقامات السيوطي-دراسة-، 1996م، ص121)

والحيز المتحرك ،أين رصد في هذه المقامة ثلاثا وعشرين وحدة حيزية:"تمايلت أعطافه بزهوره فتموجا،و"إذا ركبها (الخيل) صاحبها طارت به في الجنان".

والحيز الروحي، أو الحيز الجناتي ومثاله: "أنهار الجنة سائحة على وجه الأرض، حافاتها خيام اللؤلؤ، وطينها المسك "الأذفر" و"قصر من لؤلؤ فيه سبعون دارا من ياقوت، في كل دار، سبعون بيتا من زمردة خضراء" فإن هذا الحيز روحي بديع" (مرتاض، جمالية الحيز في مقامات السيوطي-دراسة-، 1996م، ص139)

ليختم بحثه بدراسة الإيقاع، والذي صنفه إلى إيقاع خارجي، وإيقاع داخلي، والإيقاعات المتناصة بالقياس إلى الحديث والقرآن.

4. خاتمة:

يعد البحث في مجال المناهج النقدية بحثا واسع النطاق و على الباحث التقيد بجميع الأسس والنظريات الخاصة بكل منها و هذا ما اهتدى إليه الباحث .

5. قائمة المراجع:

- **الكتب:**

1–أمنية فزاري. (2011م). أسئلة وأجوبة في السيميائية السردية (ط 1). القاهرة: دار الكتاب الحديث.

2–آن إينو، ميشال أريفيه. (2008م). السيميائية(الأصول، القواعد، والتاريخ) (ط 1). (رشيد بن مالك، المترجمون) عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.

3–بسام قطوس. (2006م). المدخل إلى مناهج النقد (ط 1). الاسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

4–دانيال تشاندلز. (2008م). أسس السيميائية (ط 1). (طلال وهبة، المترجمون) بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة.

5–عبد الملك مرتاض. (1993م). ألف ليلة وليلة(تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد) (دط). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

6–عبد الملك مرتاض. (1996م). تحليل الخطاب السردي–معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق– (دط). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

7–عبد الملك مرتاض. (1996م). جمالية الحيز في مقامات السيوطي–دراسة– (المجلد دط). دمشق: منشورات إتحاد الكتاب العرب.

8–عبد الملك مرتاض. (2007م). نظرية النص الأدبي. الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر.

9–عبد الهادي أحمد الفرطوسي. (2007م). سيميائية النص السردي– آفاق جديدة– (المجلد دط). العراق: منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق.

10–فيصل الأحمر. (2010م). معجم السيميائيات (ط 1). الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف.

11–محمود درابسة. (2010م). مفاهيم في الشعرية– دراسات في النقد العربي القديم– (ط 1). عمان: دار جرير للنشر والتوزيع.

12–مولاي علي بوخاتم. (2005م). مصطلحات النقد العربي السيمياءوي الإشكالية و الأصول و الامتداد (المجلد دط). دمشق: منشورات إتحاد الكتاب العرب.

13–نصرالدين بن غنيسة. (2011م). فصول في السيميائيات (دط). اربد/الأردن: عالم الكتب الحديث.

- المقالات:

1–نزار التجديتي، السيميائيات الأدبية لألجيرداس.ج.جريماس. مجلة عالم الفكر، 34(1)، (سبتمبر, 2005).